جامعة عين شمس
كليـــ ة الآداب
قسم اللغة العربية
إدارة الدراسات العليا

الأبنية السردية في كتابات العصرين الفاطمي والأيوبي

خطة مقترحة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب

مقدمة من

الباحث/ كامل حسيني عبد الوهاب أبو الغيط

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور/ محمد يونس عبد العال

١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

Ain Shams University

Faculty of Arts

Arabic department

Narrative structures in Ayoubian and Fatamiaan writings

A plan for a Ph.d thesis in Arts

Presented

Kamel Hosseny Abd- El-Wahab Abo El-ghet

Under the supervision of

Prof: Mohammed Younis Abd Al-Aal

2010

المقـــدمــة

لقد ازدهر الأدب في العصرين الفاطمي والأيوبي- شعره ونثره- ازدهاراً كبيراً، إذ ظهر شعراء مبدعون وكُتّاب مجيدون، تنوعت وتباينت كتاباتهم في فنون الأدب جميعاً، ورغم ذلك لم تحظ تلك الكتابات -على تنوعها- وثرائها بعناية كبيرة من الدارسين والباحثين كما حظيت الكتابات الأدبية في العصور السابقة كالعصر الجاهلي والعصر الأموي والعصر العباسي.

وتجدر الإشارة إلي المنهج المستخدم في الدراسة والدراسات السابقة فيما يأتى:

١) المنهج:

لقد أفاد الباحث من بعض المناهج الغربية في مجال السرديات والتى تتوافق مع طبيعة المادة المدروسة من التراث الأدبي العربي، دون تمييز لأيٍّ من تلك المناهج على الأخرى،مع الاستعانة بمعطيات علم الإحصاء لدراسة بعض الظواهرالسردية ،مع الربط بالجانب الدّلالي.

لقد هدفت الدراسة إلي الكشف عن بعض أنماط الأبنية السردية في كتابات العصرين الفاطمي والأيوبي¡ مع دراسة عناصر فنية في الأنماط السردية المختارة كعنصر (الشخصية) وعنصر (الراوي).

٢) الدراسات السابقة:

لقد أقبل عدد من الباحثين في الآونة الأخيرة علي دراسة التراث السردي العربي في ضوء نظريات علم السرد، وتجدر الإشارة إلي بعضها فيما يأتي:

١- أحمد عبد العظيم محمد: كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ (دراسة في شعرية القص)¡ رسالة ماجستير مخطوطة بالمكتبة المركزية جامعة عين شمس ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥¡ تناولت الدراسة (كتاب الاعتبار) لأسامة بن منقذ كأحد مصادر التراث السردي العربي في

ضوء معطيات نظرية الشعرية ومبادئ علم السرد، وعلم الأسلوب، في محاولة لبيان الأسس الفنية التى بُني عليها نص (الاعتبار) سردياً ووقف على بعض سماته الجمالية بوصفه نموذجاً للسرد العربي الكلاسيكي الذى يُعدّ بدوره بذرة أولي لفنون القصّ المختلفة.

٢- أحمد يحي على محمد: البنية السردية في كتاب الأغاني للأصفهاني، دراسة فنية، رسالة ماجستير مخطوطة بالمكتبة المركزية جامعة عين شمس.

٣- حمد إبراهيم عبد اللطيف: الأساليب السردية في الأغاني لأبي فرج الأصفهاني. رسالة ماجستير مخطوطة بالمكتبة المركزية¡ جامعة القاهرة ãƲ٠٠٤.

٤- عبد الحكيم محمد أمين عبد الرحمن: الاتجاه الفني للسرد الحكائي في الأندلس في القرنين الخامس والسادس الهجريين. رسالة دكتوراة مخطوطة بمكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس ١٤٢٧هـ- ãƲ٠٠٦.

٥- على عبد النبي إبراهيم محمد: المقامات: البنية والنسق الثقافي (مقامات الحريري نموذجاً) رسالة دكتوراة مخطوطة بمكتبة كلية الآداب¡ جامعة عين شمس ١٤٣٠- ãƲ٠٠٩.

٦- نهي عبده يوسف حسن: وجهة النظر في المرويات التراثية عن حرب البسوس (دراسة فنية)، رسالة ماجستير مخطوطة بالمكتبة المركزية، جامعة عين شمس ١٤٢٩هـ- ãƲ٠٠٨.

على الرغم من اختلاف المذهب الديني في العصر الفاطمي بمذهبه الشيعيّ، والعصر الأيوبي بمذهبه السُنى إلا أن الأدب في كلا العصرين قد اتصل بوشائج قربي، واتسم بخصال متقاربة، مما دفع بعض الدارسين إلي دراسة ظاهرة ما من الظواهر الأدبية في العصرين وكأنهما عصر واحد مثل:

١ - دراسة الدكتور/ أحمد سيد محمد: الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي.

٢ - دراسة أحمد النجار: الإنتاج الأدبي في مدينة الإسكندرية في العصرين الفاطمي والأيوبي.

يمكن أن نلخص أهم سمات الأدب في هذين العصرين إلي ما يأتى:

١ - التزام السجع وحرص الكتّاب عليه في غالب كتاباتهم.

٢ - كثرة الاقتباس من معاني القرآن الكريم.

٣ - المبالغة في استخدام الزينة اللفظية والمعنوية في كتاباتهم، فهم يغرقون في المبالغة حين يحاولون تشخيص المعاني ويولعون باستخدام الجناس[١].

٤ - تغليف كتابات بعض الكتّاب بالسخرية، سواء الكتابات التى تناولت شخصيات سياسية (كالفاشوش في حكم قراقوش) أو التى تناولت جوانب اجتماعية مثل كتابات الوهراني.

٥ - تطور فن السيرة بأنواعه المختلفة سواءً السيّر السلطانية مثل (سيرة الأستاذ جوذر) أو السيّر الذاتية مثل (سيرة الاعتبار) لأسامة بن منقذ أو (السيرة المؤيدية) للمؤيد في الدين هبه الله الشيرازي.

وقد انقسمت الدراسة إلى مدخل وبابين، درس الباحث في التمهيد، ملمحاً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً في العصرين الفاطمي والأيوبيi ثم عدّد أهم كتّاب الفاطميين والأيوبيين وأهم كتاباتهم ثم بيّن مفهوم بعض المصطلحات السردية مثل (الخبر - الحكاية - القصة - البنية) وغيرها.

اشتمل الباب الأول: أنماط سردية في العصرين الفاطمي والأيوبي على الأنماط الآتية:

الفصل الأول: النمط السردي في السّير.

(١) محمد كامل حسين: الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربي حتى أخر الدولة الفاطمية صِـ٢١٣، مكتبة النهضة المصرية، سلسيلة الألف كتاب رقم ٢٤٤..

المبحث الأول: السّير السلطانية: (سيرة الأستاذ جوذر) نموذجاً.

المبحث الثاني: السّير الذاتية: (سيرة الاعتبار) لأسامة بن منقذ نموذجاً.

الفصل الثاني: نمط السّرد المختلط والسّرد الهزلي:

المبحث الأذول: نمط السرد المختلط: (منامات الوهراني ومقاماته ورسائله) نموذجاً.

المبحث الثاني: نمط السرد الهزلي: (كتاب الفاشوش في حكم قراقوش) نموذجاً.

تناول الدارس في كل نمط من الأنماط السردية السابقة تقنية الزمان السردي¡ ودرس فيها:

١- الترتيب. ٢- الحركة السردية.

وكذلك تقنية البنية الزمنية للأحداث سواء الحكايات ذات البني البسيطة ¡أو الحكايات ذات البني المركبة وكذلك بنية المكان السردي.

أما الباب الثاني: عناصر فنية في الأنماط السردية المختارة وانقسم إلى فصلين:

الفصل الثالث: الشخصية ودراسة أصناف الشخصيات مع إحصائها في الأنماط السردية المختارة.

الفصل الرابع: الراوي الأنماط والوظائف.

درس تقنية الراوي بتناول الجوانب الآتية في الأنماط السردية المختارة.

١- الراوي بين الظهور والخفاء.

٢- الراوي العليم المنقّح.

٣- الراوي من حيث المشاركة وعدمها.

٤- الراوي الذي يحدد مصادر معارفه والذي لا يحددها.

٥- وظائف الراوي.

التمهيد

أولاً: مصطلحات سردية:

قال صاحب لسان العرب في مادة (سرد) " السرد في اللغة تقدمة شيء إلى شيء منسّقاً بعضه في بعض متتابعاً¡ سرد الحديث و نحوه يسرده سرداً إذا تابعه فلان يسرد الحديث سرداً إذا كان جيّد السياق له" [١]. ولعل تلك الشروط التي يشترطها ابن منظور في السرد من التنسيق والتتابع وجودة السياق تقرب المفهوم اللغوي للسرد من المفهوم الاصطلاحي.

وحينما نقترب من المفهوم الاصطلاحي للسرد¡ فسنجد عدة مصطلحات أخرى تقترب من المصطلح السردي دلالياً مثل القصة و الحكاية و النص و هي تحتاج إلى توضيح للفروق الدلالية بين تلك المصطلحات.

يفرق جيرالدبرنس بين مصطلح السرد وعلم السرد بأن الأول هو "الحديث أو الإخبار (كمنتج وعملية وهدف وفعل وبنية وعملية بنائية) لواحد أو أكثر من واقعة حقيقية أو خيالية (روائية) من قبل واحد أو اثنين أو أكثر (غالباً ما يكون ظاهراً) من الساردين و ذلك لواحد أو اثنين أو أكثر (ظاهرين غالباً) من المسرود لهم" [٢].

أما علم السرد فهو "نظرية السرد المستوحاة من البنيوية وعلم السرد يدرس طبيعة وشكل ووظيفة السرد (بصرف النظر عن الوسيط أو الميديا المعروضة) كما يحاول أن يحدد القدرة السردية و بصفة خاصة فإنه يقوم بتحديد السمة المشتركة بين كل أشكال السرد"[٣]. فإذا كان

(١) ابن منظور: لسان العرب ج٣¡ Õ١٩٨٧ ط: دار المعارف القاهرة.

(٢) جيرالدبرنس: المصطلح السردي ص١٤٥ ترجمة عابد خزندار مراجعة وتقديم محمد بريدي ط١- المشروع القومي للترجمة العدد ٣٦٨ لسنة ٢٠٠٣ã.

(٣) المرجع السابق: صـ١٥٧.

السرد هو الكيفية التي يتم بها بناء النص الأدبي؛ فإن علم السرد هو النظرية القائمة على دراسة السرد.

وهذا العمل السردي القابع للدراسة إما أن يكون حكاية أو قصة أو نصَّاً أوهو عمل واحد مر بتلك المراحل . فالحكاية هي " مجموعة الوقائع و المواقف المسرودة حسب ترتيبها أو مساقها الزمني"[١]. فالحكاية تمثل المادة الخام لمجموعة الوقائع والأحداث قبل دخولها في بناء خاص داخل العمل السردي.

أما مصطلح القصة فيعني" سلسلة من الأحداث الحقيقية أو الخيالية، يربطها منطق أو تسلسل زمني معين iæتقوم بها قوى معينة"[٢]¡ و يفرق جيرالÑ جينيت بين تلك المصطلحات(القصة – الحكاية – السرد) كالتالي: " أطلق اسم القصة على المدلول أو المضمون السردي (حتى إن تكشّف هذا المضمون، والحالة هذه عن ضعف في الكثافة الدرامية أو في الفحوي الحدثي) واسم الحكاية بمعناها الحصري على الدال على الفعل السردي، المنتج وبالتوسع على مجموع الوضع الحقيقي أو التخييلي الذي يحدث فيه ذلك الفعل"[٣].

فإذا كانت الحكاية تمثل الأحداث الغُفل قبل دخولها في بناء خاص، والقصة هي ذلßالبناء الخاص لتلك الأحداث فإن "النص هو البنية السطحية النصية الأكثر إدراكاً ومعاينة، وهي متوالية الجمل في تطورها و تتابعها"[٤]. إن النص يمثل تلك اللغة المشكّلة للنص السردي.

وثمة مصطلح "البنية" لأن البحث يعالج" البنية السردية (فجيرالدبرنس) يعرّف البنية" بأنها "شبكة العلاقات التي تتولد من العناصر المختلفة للكل بالإضافة إلى علاقة كل عنصر بالكل، وإذا

(١) جيرالدبرنس: المصطلح السردي ص٨٣.

(٢) محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة صـ١٠٣ ط: الشركة المصرية العالمية لونجمان ã١٩٩٦.

(٣) جيرارجنيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج ص٣٨/ ٣٩، ط٢ المشروع القومي للترجمة عدد ١٠ لسنة ã٢٠٠٠.

(٤) عمر عبد الواحد: السرد والشفاهية: دراسة في مقامات بديع الزمان الهمذاني صـ٨، ط٢ دار الهدي للنشر والتوزيع سنة ã٢٠٠٣.

عرّفنا السرد مثلاً بأنه "يتألف من القصة و الخطاب فإن البنية ستكون شبكة العلاقات الحاصلة بين القصة و الخطاب والقصة والسرد والخطاب والسرد"[١].

إن البنية السردية تهتم بالعلاقة بين العناصر المكوّنة للعمل السردي حتى نكون على دراية بطبيعة تلك العلاقات والمنظومة التي تشكل هذه العلاقات معتبرة أعمال العصرين الفاطمي و الأيوبي السردية وحدة سردية واحدة نبحث عن العلاقات المكوّنة لتلك الأعمال على اختلاف أصحابها وأنواعها.

ثانياً: العصر الفاطمي و الأيوبي:

لا شك أن الناحية الأدبية ترتبط ارتباطا مباشراً – في أي عصر من العصور– بالناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فكل ناحية من تلك النواحي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً لا ينفصم عن الأخرى؛ فالعامل السياسي و العامل الاقتصادي و العامل الاجتماعي كلها عناصر تؤدي إلى تغير في حياة الناس، يؤثرون فيها و يتأثرون بها، فما بالنا بالأدباء وهم أكثر الناس تأثيرا في المجتمع – بكل نواحيه و تأثراً به.

والسرد جزء من الأدب قريب من المجتمع أكثر من الشعر لاختصاصه بالعامة قبل الخاصة من الناس، فهو لصيق برجل الشارع، و لصيق برجال الإمارة و السلطنة، و لصيق بكاتب ديوان الإنشاء، فاعل فيهم، و منفعل بهم لذا حريّ بكل بحث يبحث في السرد أن يتعرض للعامل السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي، تعرضاً عارضاً لهذه الأوجه غير مستفيض في تفاصيل دقيقة قد تشتت البحث والباحث و القارئ، ولا تأتي بالثمار المرجوّة وإنما تعرض– في نظرة عاجلة

(١) جيرالدبرنس: المصطلح السردي: ص٢٢٤.

– لأهم الأحداث في هذين العصريين (الفاطمي والأيوبي) حتى نكون على دراية بطبيعة العصرين السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية.

لقد أدرك الفاطميون – مبكراً – أهمية الفتح الفاطمي لمصر " لما لموقعها من عظيم الأهمية سياسياً و حربياً، خصوصاً و أن ولاة هذه البلاد كانت إليهم ولاية الشام و الحجاز. فكان امتلاك مصر امتلاكاً لهذين البلدين العظيمين، و تأسيس نفوذ الفاطميين السياسي و الديني في ثلاثة من المراكز الإسلامية الكبيرة و هي: الفسطاط و المدينة و دمشق"[١].

فقد كان لموقع مصر المتوسط بين الشام و الحجاز السبب الأساسي وراء نقل حاضرة الخلافة إلى القاهرة، فبعد أن كانت إمارة تابعة للدولة العباسية ، أصبحت عاصمة للخلافة الفاطمية" فقد أدرك الفاطميون الأهمية السياسية والعسكرية و الجغرافية لمصر فنقلوا دار خلافتهم إليها بعد فتحهم لها، و قد صدق إدراكهم، فمن مصر أقاموا إمبراطورية واسعة قوية ذات حضارة مزدهرة ضمت إلى جانب مصر المغرب و الشام و الحجاز و اليمن و صقلية"[٢].

أعدّ المعزّ لدين الله الفاطمي حملة عسكرية كبيرة يزيد تعدادها على مائة ألف جندي بقيادة قائده جوهر الصقلي لفتح مصر ، فانطلقت هذه الحملة في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الثاني لسنة ٣٥٨ هـ فبراير سنة ٩٦٩ ã فيما سمع أهل الفسطاط بنبأ استيلاء الفاطميين على مدينة الإسكندرية ندبوا الوزير جعفر بن الفرات لمفاوضة جوهر في الصلح æطلب الأمان على أرçحهم و أملاكهم، و قد التقى هذا الوفد مع جوهر الصقلي الذي أجابهم إلى ما يطلبون، و كتب لهم عهداً تعهّد فيه بأن يطلق للمصريين على اختلاف أوطانهم ومذاهبهم حرية العقيدة ، وأن يقوم بما

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب و مصر و سورية و بلاد العرب ص ١١٣ . ط٤ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨١ ã.

(٢) ناصر الأنصاري: المجمل في تاريخ مصر النظم السياسية و الإدارية ص ١٢٠ ط ٢- دار الشروق ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ ã .

تطلب البلاد من وجوه الإصلاح ، كما تعهّد بنشر العدل والطمأنينة في النفوس بحماية مصر من المغيرين عليها،æ خرج المعزّ من المنصورية دار ملكه يوم الاثنين ٢١ شوال سنة ٣٦١ هـ (٥ أغسطس ٩٧٢ م) ودخل الإسكندرية يوم السبت ٢٣ شعبان سنة ٣٦٢ (٢٩ مايو سنة ٩٧٣ ã) "[١] ثم توجّه من الإسكندرية إلى مصر (القاهرة) فدخلها في خامس شهر رمضان سنة اثنتين و ستين و ثلاثمائة، ونزل بقصر الزمرد الذي أنشأه جوهر القائد "[٢]. و قد أصبحت مصر منذ ذلك الحين عاصمة الخلافة الفاطمية شاسعة الأرجاء بدل المنصورية.

استطاع الخلفاء الفاطميون توطيد أركان دولتهم و تثبيت دعائمها حتى حكمت حوالي قرنين من الزمان تقريباً من (٣٥٨هـ - ٩٦٩م إلى ٥٦٧هـ -١١٧١ م) تولي الخلافة فيها أحد عشر من خلفائها و هم المعز لدين الله الفاطميj و كانت ولايته من (٣٦٢ هـ - ٣٦٥ هـ) وقد قضى المعزّ أكثر أيام خلافته في بلاد المغرب و لم يبق في مصر ما زاد – قليلاً – عن السنتين" و في عهده تأسست مدينة القاهرة، و بني الجامع الأزهر، و امتدت فتوح الفاطميين إلى بلاد الشام و فلسطين، æإن كان نفوذهم لم يستقر نهائياً إلا في عهد ابنه العزيز"[٣]j و قد تولى العزيز بالله (٣٦٥ هـ - ٣٨٦ هـ) وهو في الثامنة و العشرين من عمره" و يعتبر عهد الخليفة العزيز بالله عهد يسر ورخاء و تسامح ديني و ثقافة، و هو مشهور في تاريخ مصر الإسلامية ،لأنه أول من حوّل الجامع الأزهر إلى جامعة بمعناها المعروف الآنj بعد أن كان معهداً خاصاً بدراسة الفقه الشيعي و إقامة

(١) انظر: حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب و مصر و سورية و بلاد العرب , ص ١٤٠ : ١٤٩ .

(٢) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور حل ١٨٦ (١٨٦/١) ط٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م الجزء الأول .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية , ص ١٥٥ .

الصلاة"[١]. و قد ترامت رقعة الإمبراطورية الفاطمية في عهد العزيز بالله الفاطمي من بلاد العرب شرقاً إلى ساحل المحيط الأطلسي غرباً، و من آسيا الصغرى شمالاً إلى بلاد النوبة جنوباً ، قال المسبّحي: "أول من بنى الحمامات بالقاهرة العزيز بن المعز"[٢] " ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، في شهر رمضان وفيها توفى العزيز بالله نزار بن المعز الفاطمي, خليفة القاهرة، كانت مدة خلافته بمصر و القاهرة إحدى وعشرين سنة و خمسة أشهر و أياما .. و لما مات تولى بعده ابنه الحاكم بأمر الله"[٣]. وقد ولد الحاكم بأمر الله سنة ٣٧٥ هـ و عهد إليه أبوه بالخلافة سنة ٣٨٣ هـ ثم بويع له بالخلافة في اليوم الذي تُوفى فيه أبوه في شهر رمضان (٣٨٦ هـ - ٤١١ هـ) و له إحدى عشرة سنة ونصف وكان الوصي عليه برجوان الخادم مربيه و أستاذه، نشئ في عهد الحاكم دار الحكمة التي كان يشتغل بها كثير من القراء و الفقهاء و المنجمين والنحاة واللغويين وألحق بها مكتبة أطلق عليها دار العلم حوت كثيراً من أمهات الكتب مما أُلِّف في مصر و غيرها من البلاد الإسلامية "[٤]. وتُوفى الحاكم بأمر الله في شهر شوال سنة ٤١١ هـ و تولّى بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ – ٤٢٧ هـ) ،وتولى من بعده ابنه المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧ هـ) وهو مازال في السابعة من عمره و ظل في الخلافة ستين سنة ، و في عهده انقطع ماء النيل سنة ٤٤٦ هـ " فأهملت الزراعة و انتشرت المجاعة وعم الوباء الذي يعتبر أطول وباء عرفته مصر في العصور الوسطى و امتد ثماني سنين (٤٤٦ – ٤٥٤ هـ) و نكبت به جميع الأمم الإسلامية من مصر إلى سمرقند ، و دونت عنه قصص مروعة حتى قيل أنه كان يموت بمصر

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية , ص ١٥٦.

(٢) انظر: ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور صـ ١٩٢

(٣) المرجع السابق: صـ١٩٧.

(٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، صـ١٦٦.

في كل يوم عشرة آلاف نفس ، وعدمت الأقوات حتى أكل الناس الكلاب و القطط , ثم أكل بعضهم بعضا"[1].

و تولّى الخلافة بعد المستنصر بالله ابنه المستعلي بالله (٤٨٧ – ٤٩٥ هـ) ومن بعده ابنه الآمر بأحكام الله (٤٩٥ – ٥٢٤ هـ) ثم بويع الحافظ لدين الله (٥٢٤ – ٥٤٤ هـ) ابن الخليفة المستنصر بالله بعد ابن عمه الآمر بأحكام الله، ثم بويع بالخلافة الظافر بالله بن الحافظ بن المستنصر بالله (٥٤٤-٥٥٠ هـ) و ذلك بعد موت أبيه الحافظ، و من بعده تولى الخلافة الفائز بنصر الله أبي القاسم عيسى بن الظافر (٥٥٠ – ٥٥٥ هـ) و كان له من العمر نحو ست سنين واستمر الفائز في الخلافة حتى مات بالطعن، "و كانت وفاته في يوم الجمعة سابع رجب سنة خمس و خمسين و خمسائة، و كانت مدة خلافته بمصر خمس سنين و أربعة أشهر و مات و له من العمر نحواً من اثنتي عشرة سنة، و لما مات تولى بعده ابن عمه عبد الله العاضد"[2]. و يعتبر العاضد آخر الخلفاء الفاطميين على مصر حيث بويع بالخلافة و له من العمر نحو أربع وعشرين سنة و في سنة أربع و ستين و خمسمائة أشار الوزير شاور على الخليفة العاضد بالله بحرق مدينة الفسطاط خوفاً من دخول الفرنج ، فأذن في حرقها فأقامت النار نحو شهرين فكان يرى دخانها من مسيرة ثلاثة أيام فاستنجد بنور الدين الشهير صاحب دمشق فأرسل أسد الدين عمّ صلاح الدين ومعهما العساكر فخاف منهما الفرنج و رحلوا إلى بلادهم، فلما دخل أسد الدين إلى مصر شنق الوزير شاور لمكاتبة الفرنج من الباطن "كانت وفاة العاضد في عاشر المحرم سنة

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، صـ ١٧١.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور: صـ٢٣٠

ثمان و ستين و خمسمائة , وكانت مدة خلافته بمصر اثنتي عشرة سنة و به انقرضت دولة عبيد الله كأنها لم تكن ، وقد أقامت دولتهم بمصر نحو مائتين و ست سنين"[١].

و يمكن أن نطلق على القرن الأول من هذين القرنين عهد الاستقرار " ففيه تم تنظيم الشئون الداخلية و نشر الأمن ، ووضع النظم الإدارية الجديدة و العناية بالجيش و تنمية الزراعة والنهوض بالتجارة و تشجيع الآداب و العلوم و الفنون"[٢].

و تتغير أحوال البلاد و العباد في القرن الثاني من حكم الفاطميين لمصر¡ أيّ من حوالي سنة(٤٦٠ إلي٥٦٧هـ) " فقد بدأت تظهر فيه الخلافات وبدأ الضعف والانحلال يدبّ في أجهزة الدولة ¡ وظهر الاضطراب من حين إلى آخر في أحوالá البلاد المختلفة، حتى وصل الأمر إلى أن طمع فيها الصليبيون الذين كانوا وراء سقوط الأسرة الفاطمية و زوال دولتها"[٣].

و الحقيقة أن الظروف قد واتت الفاطميين لإرساء نهضة حضارية في كافة المجالات الفنية و العمرانية و العلمية والأدبية، و ترجع أسباب هذه النهضة الحضارية إلى ما تتمتع به مصر من خير وفير " مهّدت السبيل إلى هذه النهضة المتكاملة وأرست عمدها على أساس مكين و بسطوا أيديهم بالعطاء وأغروا بالمال العلماء و الشعراء و الكُتّاب حتى و فدوا عليهم من كل قُÑØ"[٤].

لذلك توسّع الفاطميون في جباية الضرائب من كل وجه ليساعدهم هذا المال في بناء هذه الحضارة، وقد عُنى الفاطميون بديوان الإنشاء عناية بالغة يقرر ذلك القلقشندي في (صُبح الأعشى فيقول: " لمّا ولي الفاطميون مصر صرفوا مزيد عنايتهم لديوان الإنشاء و كتابه ، فارتفع بهم قدره ،

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور: صـ ٢٣٠: ٢٣٣.

(٢) ناصر الأنصاري: المجمل في تاريخ مصر، النظم السياسية والإدارية صـ١٢٦.

(٣) المرجع السابق: صـ١٢٦.

(٤) أحمد النجار: الإنتاج الأدبي في مدينة الإسكندرية في العصرين الفاطمي والأيوبي: ص ٢٤٤ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ١٩٦٤ã.